دور المطابع العربية في موكب الحضارة الإنسانية في نيجيريا: آفاق وأبعاد

د، عمر محمد الأول الإمام [1]
د، مرتضى الإمام أَكَيَيْدَيْ [2]

الملخص

كانت المطابع العربية من وسائل نشر الثقافة العمرانية في العصر الحديث في كل دولة من الدول العالمية. وساهمت مساهمة جبارة في عرض وتقديم عديد من المخطوطات المعرفية العلمية التي قد يمكن أن تتلاشى لولا وجود هذه المطابع في جميع ربوع العالم. ولهذه الأدوار التي قامت بها هذه المطابع العربية في حراسة الثقافة الإنسانية تأمل هذه الورقة البحث عن "دور المطابع العربية في موكب الحضارة الإنسانية في نيجيريا": آفاق التطور والازدهار. ولكي يسهل تناول هذا الموضوع تناولا علميا منطقيا منهجيا تحدد الورقة النقاط العامة الآتية:

المطابع العربية الحديثة في نيجيريا نشأة وتطور

بذور الحضارة الإنسانية عبر المطابع العربية في نيجيريا

المطابع العربية في المجتمع النيجيري إنتاجاتها وتحدياتها

الكلمات الدلالية: الحضارة الإنسانية، صحافة في نيجيريا، المطابع العربية،

المطابع العربية الحديثة في نيجيريا نشأة وتطور

1 umarmuhammad.edu.ng@gmail.com

2 Murtadoakeyede1979@gmail.com

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة إلورن، نيجيريا

متى أخذت الطباعة بالعربية؟ عُرفت الطباعة بالحروف العربية في عام ١٤٨٦م حيث طبع في عام ١٥٠٥م في مدينة غرناطة كتابان بالعربية هما: وسائل تعلُّم قراءة اللغة العربية ومعرفتها، ومعجم عربي بحروف (قشتالية)، بتوجيه من الملك فرديناند وزوجته إيزابيلا، وأكد بعض الباحثين على أن أول مطبعة عربية وأحرفها عربية، ظهرت في فانو بإيطاليا بأمر البابا يوليوس الثاني، ودشنها البابا ليون العاشر سنة ١٥١٤ م، وأول كتاب عربي طبع فيها في تلك السنة كتاب ديني، وبعد ذلك طبع القرآن الكريم في البندقية، ولكن لم تصلنا منه نسخة ما، لأن جميع النسخ أحرقت، وقد طبع في مطبعة باغانيني المشهورة في البندقية، وقد نشر المستشرق (غويوم بوستيل) الأستاذ في كلية فرنسا مبادئ اثنتي عشرة لغة شرقية بحروفها الأصلية، واستعمل المستشرق المذكور في طباعة القواعد العربية التي صدرت مع باقي المجموعة في باريس سنة ١٥٣٨ م أحرفا عربية، وكان هذا الكتاب أول سجل مطبوع للغة العربية في باريس. وفي عام ١٥٨٥ م قام الطباع البندقي (بازا) بعد أن انتقل إلى روما بطبع مؤلف جغرافي عربي هو الأول من نوعه باللغة العربية خال من الدعاية الدينية وهو كتاب (البستان في عجائب الأرض والبلدان) ومؤلف الكتاب سلاميش بن كندغدي الصالحي، وفي نفس هذه الفترة طبعت بعض الكتب العربية في المدن الألمانية[1].

ويرتبط تاريخ التصميم الطباعي بنشأة الطباعة وتطورها لما لها من اثر إنجاز التصاميم وتتطور إمكانياتها. وتُعدّ الطباعة العربية من عوامل النهضة الحديثة في

٩- حمود الضويحي، المطابع.. تقفز بالكتاب من النسخ اليدوي إلى الطباعة الرقمية، ٢٠١٥/١٠/٢م

https://www.alriyadh.com

بلاد العرب عامَّة، وهي كذلك في بلدان أخرى مسبقة إلى فن الطباعة أو متأخرة عنها، فقد عرفت البلاد العربية أوَّل مطبعة في أوائل القرن السابع عشر الميلادي بلبنان، وظهرت الطباعة في سُورِيَا في القرن الثامن عشر الميلادي، بينما تأخر ظهورها في مصر إلى سنة ١٧٢١م حين أنشأ محمد علي المطبعة الأهلية التي عرفت بمطبعة بولاق[١]. وكانت تطبع بها الوقائع المصرية ثم كتب الثقافة العربية، وبهذا أخذ فن الطباعة تتقدّم تقدمًا عظيمًا حتى انتشرت في البلاد العربية كلّها في القرن العشرين، ومن أشهرها اليوم: مطابع الهلال والمعارف بمصر والمطبعة الكاثوليكية والمطبعة البولسية بلبنان. كان الصينيون أولَ من اخترعوا المطبعة قبل المسيح، ومنها انتشرت إلى أوربا منذ القرن الخامس عشر الميلادي لما ظهر أوَّلُ كتاب بالطباعة الخشبية، ثم الكتب المطبوعة من أثر حفر الحروف في الأخشاب وفي المعادن اليوم[٢]. وأما الطباعة العربية وقد عرّفها العرب أولًا في لبنان عام ١٦٠١م، وفي سوريا عام ١٧٠٦م، كلاهما بفضل المبشرين كُتّاب الإنجيل. ثم عرّفتها الحكومة التركية بفضل سفيرها في باريس، والذي استعملها أولًا في نشر كتب الل

وأما المطابع في نيجيريا كانت من مواليد القرن العشرين، فأوَّل مطبعة قامت بمهمة طبع الكتب العربية هي المطبعة الأميرية بكنو، وبعدها مطبعة ألوشيء ومطبعة يَنْ قَسَا، وأنشأت في كَدُونَا المطبعة الحكومية في الثلاثينيات ثم في زَارِيَا مطبعة نُولَا ومطبعة غَسْكِيًا. أما في جنوب نيجيريا فأوَّل مطبعة عربية هي مطبعة

---

١ -خنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص:٩٠٦

٢ -جامع سعد الله عبد الكريم، مقالة قدمها في المؤتمر الدولي بجامعة إلورن، نيجيريا، المعنونة بـ"دور المطابع العربية في التطور الاقتصادي في إمارة إلورن منذ القرن العشرين الميلادي" ص:٣١٧،

إِجَيْبُو أَوْدَيْ ثم مطبعة الثقافة العربية بأغَيْغَيْ، وكانت هذه المطابع تقوم بطبع الكتب المدرسية الصغيرة والمقالات والمنشورات بالحروف العربية، ثم في أواخر القرن العشرين أخذت المطابع ودور النشر تنتشر في بلاد نيجيريا انتشارًا كثيرًا، بحيث توجد في كل ولاية من ولايات شمال نيجيريا وفي كل بلدة من بلدان المسلمين مطبعة تقوم بنشر الكتب العربية من مؤلفات العلماء والكتب المدرسية وطبع اللوافت والدعوات والمجلات.

بذور الحضارة الإنسانية عبر المطابع العربية في نيجيريا

تعتبر الطباعة أعظم منجزات الجنس البشري حيث كان نشخ الكتاب في القديم عن طريق الكتابة اليدوية، وهي عملية غالبًا ما تكون مجهدة ومتعبة، وتحدث بها الأخطاء. فالناسخ يستطيع أن ينجز مخطوطًا أو مخطوطتين على أقصى درجة، لذلك فإنَّ عدد الكتب والمخطوطات المتاحة كان محدودًا وكُلفة شرائه لم تكن في متناول الجميع أمام هذا أحدثت الطباعة تغييرًا مذهلًا حيث مكنت من نسخ الألاف وربما مئات الألاف من الكتب وطباعتها بقدر كبير من الدقة. ولعبت المطبعة دورًا هامًا في عملية التغيير الاجتماعي ودفع تقنيات الاتصال تدريجيًّا نحو التطور مما أدى إلى توفر وسائل جديدة للمعرفة والعلم كالكتاب والمطبوعات. الأمر الذي جعل المخترعين يولُّون عناية لتطور هذا الاختراع ومواصلة تجديد تقنيات الاتصال. وهناك من يرى أن اختراع الطباعة هو أعظم اختراع من تاريخ البشرية على الإطلاق، حيث يسرتْ نشر الأبحاث والتجارب العلمية مما مهد الطريق أمام العلماء في مختلف المجالات لإتمام اختراعاتهم التي أسعدت البشرية. كما أنَّ الطباعة وفرت العلم والثقافة أمام الجميع حتى الطبقات الفقيرة.

ومن المعلوم أنّه ظهرت في الديار النيجيرية عدّة المطابع العربية والمؤسسات التعليمية الراقية، كما ظهرت كذلك عدّة الكتب التي تساعد على تحقيق الهدف

المنشود من التعليم. فأصبح الباحثون والدارسون يقرءون النحو والصرف والبلاغة والأدب والإنشاء واللغة، وكان مؤلفوها من أبناء نيجيريا، وهذا مما يبشر بخير أنَّ وضع المطابع العربية في نيجيريا كان وضعًا رفيعًا، وحالة الحضارة الإنسانية كان حالًا متميزًا، وسيكون المستقبل باهرًا في صورة شيّقة بديهة. وإنَّ الوقوف على أزمة اللغة العربية في علاقتها بالثقافة والتراث والواقع في تأليف الكتاب وترجمته ينطلق من محاولة الإجابة على تساؤلين مهمين هما:

أ-ما هو مصير اللغة العربية في ظل عولمة الثقافة وثقافة العولمة؟

ب-كيف السبيل إلى إحداث قفزة نوعية لترقية ترجمة الكتاب في لغته العربية وجعلها لغة عالمية في ظل هذه التحديات الكبرى؟

ومن خلال إجابة هذه الأسئلة كان الرقي العقلي الذي يتمتّع به الشعب النيجيري قد استلهمه من العلوم والمعارف، حتى تستقر في العقول اليقظة الراسخة أخذًا وإعطاءً. وأما الحضارة قد صاغها العمالقة المقتدرون فتشكلت وحدة العمران، وتباهت متكاملة العناصر، فغدّت إحدى التيارات الكبرى التي يعتز بها، ويستنفر إليها المغتبطون، وأضحى الفن أصولا وضوابط ومقاييس وما يميز رونقها، من وظائف وخصائص، فازدادت بها المهارة العجيبة، وأقوى عوامل التطور قديرة على التعبير عن نضوج الفكر، في كافة الشئون الدينيّة والأدبيّة والاجتماعيّة والسياسيّة، مما تجعل القوانين العملية تتناهى سموًّا وعلوًّا، وضخامة وغزارة، ودقة ورقة، تمتلي بوفرة المعارف واكتزاز الكنوز، وعلى هذا تتعالى ميز الوجه. وعلى حين تنتشر القيّم الإنسانية تستمد هذه الحضارة من القوى الأدبية مما ينطبع به الإبداع من الشعر الراقي الجميل. وإذا أثبتنا أن المدارس العربية من إحدى العوامل التي أثّرت في تطوير الحياة الأدبية، فقد شاركتها المطابع العربية الحديثة لبذور الحضارة الإنسانية في الدّيار النيجيرية، حيثما سهلت كثيرًا من مهام الطبع والنشر.

ومن مواطن بذور الحضارة الإنسانية عبر المطابع العربية في نيجيريا ما تلي:

مطبعة الهدى: لمؤسستها السيّدة راضية أدُكَيْ مصطفى، كانت من مواليد السبعينيات بمدينة إلورن عاصمة ولاية كوارا نيجيريا. ولها إنتاجات متنوعة في موكب التأليف والتصنيف، ومن بينها:

- الإصابة في فن الخطابة، دراسة وتعليق، لمؤلفه الدكتور كمال المبارك علي (٢٠١٧).
- المفتاح العمومي للإفصاح عن الأمثال القرآنية والتعبيرات والطلب والمراسلات، لمؤلفه الدكتور عثمان عبد السلام أَكَنْبِي.
- مشكلات في واقعنا الإسلامي المعاصر والحلول العلاجية للتغلب عليها، لمؤلفه الأستاذ ذكر الله أبوبكر بابا كَيْكَيْرَيْ (٢٠١٧).
- الأميريات، ديوان شعر لناظمه الدكتور عبد العزيز محمد سلمان الياقوتي، الطبعة الأولى (٢٠٢٠م).

مطبعة الناصرية للطباعة والنشر: أسّسها الدكتور ناصر الدين إبراهيم عام ٢٠١٠م، المحاضر بقسم الدراسات العربية، الجامعة الفدرالية دتشي، عاصمة ولاية جِيغَاوَا، نيجيريا. ومن ضمن إنتاجات هذه المطبعة ما تلي من باب ضرب المثل دون الإحصاء:

- المسائل النحوية، للمؤلف المؤسس نفسه، الدكتور ناصر الدين إبراهيم، الطبعة الأولى (٢٠٠٥م).
- من قضايا التنوين، للمؤلف والمؤسّس نفسه، الدكتور ناصر الدين إبراهيم، الطبعة الأولى (٢٠٠٤م).
- -بين السائل والنحوي، للمؤلف والمؤسس ذاته، الدكتور ناصر إبراهيم، الطبعة الأولى (٢٠٠٩م).

- -الضان الأسود، لمؤلفه الدكتور عبد العزيز محمد سلمان الياقوتي، الطبعة الأولى (٢٠١٩م).
- -ومضة ساطعة في أخبار العميان من النّحاة، إعداد، الدكتور قاسم إبراهيم الأيْدَيْوِي، الطبعة الأولى (٢٠٢٠م).

ومما تنتجها هذه المطبعة الموسوعة في رحاب المجلات العربية المحكّمة:

- مجلة النور: مجلة قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة ولاية يَوْبَيْ، نيجيريا
- مجلة الآفاق: مجلّة قسم اللغة العربية، غَطَوْ، جامعة ولاية بَوْتِشِي، نيجيريا.
- مجلة اللسان، التي تصدر-كل سنة-عن جمعية مدرسي اللغة العربية والكليات والمعاهد المماثلة بنيجيريا، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة ولاية يَوْبَيْ، نيجيريا.

مطبعة المضيف للطباعة والنشر: قد تام تأسيسها عام ٢٠٠١م، على يد الدكتور عبد الرفيع عبد الرحيم أَسَلَيْجَوْ، المحاضر حاليا بقسم الدراسات العربية، الجامعة الفدرالية كَاشَرِيْ، ولاية غَوْمَبِيْ، نيجيريا. استقرّت هذه المطبعة في مدينة إلورن، عاصمة ولاية كوارا، نيجيريا. قد نالت هذه المطبعة قسطًا وافرًا منذ تأسيسها، بطبع الكتب والمؤلفات العربية والإسلامية، وغير ذلك مما تستخدم في الجولة الأكاديمية وخارجها. ومن ضمن منشوراتها:

- قصص خط الاستواء لمؤلفه الأستاذ الدكتور زكرياء حسين.
- أساليب بلاغية في مؤلفات الإلوري، لمؤلفه الأستاذ الدكتور عيسى ألبي أبوبكر (٢٠١٠م).

- إمرؤ القيس الكندي: عبقريته البلاغية في معلقته الرائعة، لمؤلفه السيّد عبد الحكيم أحمد المنفلوطي، الطبعة الأولى (١٤٣٢هـ-٢٠١١م).
- مقدمة في فونولوجيا العربية لطلبة العربية في الماهد والكليات بغرب أفريقيا، لمؤلفه الدكتور عبد السلام بَابَاتُنْدَيْ حنبلي، الطبعة الأولى (١٤٣٦هـ-٢٠١٥م).
- عبرات الأمل لكاتبه الدكتور عبد العزيز محمد سلمان الياقوتي، الطبعة الأولى (٢٠١٦م).
- السيّد المحاضر، لكاتبه الدكتور مرتضى عبد السلام الحقيقي (٢٠١٧م).
- -عبث الطفولة، قصّة عربية، لكاتبها الدكتور علي عبد القادر العسلي، الطبعة الأولى (١٤٣٦هـ-٢٠١٥م)
- الميزان الوافي في العروض والقوافي، لمؤسس المطبعة نفسه الدكتور عبد الرفيع عبد الرحيم.
- -نفحات ربانية من الخطب المنبرية للإمام هاشم مَغَاجِي أَبَاتَا.
- مكتبة دار الثقافة للطباعة والنشر، بمدينة جَوْسِ، عاصمة ولاية بُلَاتَوْ، نيجيريا، السيّد إدريس زكرياء،
- في قبضة العُمّال، رواية نيجيرية، لمؤلفها السيّد علي إسحاق نمدي،
- كيد الموجود في شعري المفقود،

مركز كَيْوُودَ مِيلَوْلَا للطباعة: تمّ تأسيس هذه المطبعة عام ٢٠٠٣م، على يد الأخ السيّد بنيامن مصطفى وهو المدير للمطبعة، وتولّت زوجته السيّدة بلقيس مصطفى ريادة هذه المكتبة. لقد ساهمت المطبعة منذ تأسيسها في مجال إخراج الكتب العربية المتميّزة، كان مقرّها بمدينة إلورن، لم تكن الطباعة وحدها عمل

المطبعة بل تقوم بأنشطة علمية أخرى، مثل: إخراج المذكرات، والبحوث العلمية مع تجليد الكتب. ومن ضمن إنتاجاتها من الكتب العربية ما تلي:

- الأدب الإسلامي في ديوان الإلوري، لمؤلفه الأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب أغاكا السعدي، الطبعة الأولى: ٢٠١٢م-١٤٣٣هـ.
- أغلى العبر في مرثية العلامة الكبري، للسيّد عبد القادر أَوْغَانِيجَا، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
- دراسة موازنة بين منظومتي الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي والشيخ إبي بكر الصّديق أَبَارْغِدَوْمَا الإلوري، لمؤلفه الدكتور قاسم إبراهيم الأَيْدَوِي. الطبعة الأولى (١٤٣٥هـ-٢٠١٤م).
- القلم الأخضر في زيارة الأزهر، لمؤلفه الدكتور إسحاق أيوب بَبَأَوْيَيْ، الطبعة الأولى (١٤٣٧هـ-٢٠١٦م).
- السّرد التاريخي في كتاب الإسلام في نيجيريا" للشيخ آدم عبد الله الألوري، لمؤلفه الدكتور سليمان صالح الإمام الحقيقي. الطبعة الأولى (١٤٤١هـ-٢٠٢٠م).

وكما توجد المطابع العربية التي بلغتْ سدرة المنتهى في تطوير الثقافة العربية والحضارة الإنسانية في شمال دولة نيجيريا، هكذا توفرت نظائرها في جنوب الدولة من لا يستغنى عنها حاضر المواطنين ومستقبلهم، ولها ما لا تقل من إنتاجات علمية قيّمة في رحاب المطابع العربية، ترسم الحضارة الإنسانية، في زاويتها العريقة المنابع الكبرى. فنذكر من أهم تلك المطابع العربية في مدينة لاغوس، وإذا أثبتنا أنّ ظهور المدارس العربية من إحدى العوامل التي أثّرتْ في تطوير الحياة الأدبية فقد شاركت معها ظهور المطابع العربية بلاغوس، حيث سهلت كثيرًا من مهام الطبع والنشر، فنجد في لاغوس قصائد مدحية مختلفة وهي مطبوعة بأجهزة الكمبوتر، إضافة إلى

ظهور بعض الكتب النقدية والأدبية المطبوعة داخل البلاد[1]، فنذكر من أهم المطابع العربية ما تلي:

- مطبعة أَشْوَاجُو للطبع والنشر: تعتبر هذه المطبعة أول مطبعة عربية ظهرت في لاغوس.
- مطبعة النور للطبع والنشر: وهي من أهم المطابع العربية في لاغوس، والتي نشرت أفضل كتب بالعربية، ومقرها في حارة مُوشِنْ لاغوس.
- مطبعة الحكمة للتصميم والنشر: وهذه المطبعة لمؤسسها الأخ إبراهيم سليمان أَلَبِي، له فن جديد ممتاز في عملية نشر الكتب ويعتبر من الذين أرجعوا للطباعة العربية مكانة لائقة، وقعت هذه المطبعة بحارة أَمُوكَوْكَوْ لاغوس.
- مطبعة تَنْمَوْلَا للعربية: كانت هذه المطبعة من المطابع الحديثة في لاغوس والتي لها دور مهم في نشر الكتب العربية، كان مقرها أيضا في أَمُوكَوْكَوْ.
- مطبعة الفوز: هذه المطبعة من أهم المطابع العربية تعلم صاحبها فن النشر والتوزيع عند صاحب مكتبة الحكمة كان مقرها في وَرَيْلَيْ لاغوس. مع كل ما بذله الكاتبان من الجهد لنيل معظم إنتاجات هذه المطبعة
- مطبعة ابن مالك للطبع والنشر: يوجد هذه المطبعة في حي مَوْسَافَيْجَوْ لاغوس.

---

١ -عبد الحكيم عيسى جبريل، دراسات في شعر المدح لدى شعراء لاغوس نيجيريا، ٥٨

- مطبعة مركز الهلال: كانت من أهم المطابع العربية في لاغوس[1].

المطابع العربية في المجتمع النيجيري إنتاجاتها وتحدياتها

تعتبر الطباعة موكب الإبانة والإفصاح عما يختلج في نفس الإنسان من أفكار ومشاعر، أما على الصعيد التعليمي، فهو العمل الذي يسير على وفق خطّة متكاملة للوصول بالدارس والباحث إلى مستوى يمكنه من ترجمة أفكاره ومشاعره وخبراته شفاهية وكتابية بلغة سليمة على وفق مرن، ونسق معين. وللكتابة والخطابة أهمية قصوى ضمن المهارات العلمية والبيانية، فلا نستطيع أن نتصور اللغة دون صورتها الكتابية، ولا نحصل على روعة الكتابة دون جودة الطباعة. إنَّ الكتابة جنين، والطباعة إنجابها، والكتابة أمر أساسي بالنسبة للمعلمين والمتعلمين وبجانبها الطباعة لبناء ثروة كبيرة من الأفكار والمفردات.

أولاً: إنتاجات المطابع العربية في نيجيريا

إنَّ منافع الكتابة التي تنتجها روائع الطباعة إذا أردنا إحصاءها لا نجد لها نظيرًا ولا شبيهًا. كونها تتعدى صناعة الفكر إلى صناعة الإنسان واستحداث قيّم الحضارة والنهضة لديه: إنَّ على مستويات شخصيته كقارئ وباحث ومؤلف ومبدع، أو على مستويات التحصيل التي يُمكن بها الآخر في مجالات معارفه. لأنّ الكتاب لا جغرافية تحدُّه، ولا مانع يصدُّه من الوصول للقارئ، لأنّ الثقافة هي ملك من الإنسان إلى أخيه الإنسان في أصقاع الأرض ومشارب الدنيا، كونه يفتح نفسه على الأنا في تدفقات المعرفة، وعلى الأخر في التمكن من قراءة وفهم واستيعاب هذه المعرفة، هذا ما جعل شأن الخضارة الإنسانية يرتفع بغية العلوّ والرفعة من خلال

---

١ -عبد الحكيم عيسى جبريل، المرجع السابق، ص:٥٩

سِنَي المثابرة والكتابة والطباعة والقراءة والدراسة والتحصيل، حتى أنَّ المعرفة في حقيقة الأنا هي السبيل المترجم لكل رغبات النفس وأدوات الضمير والعقل. ومن ثم فإنَّ الآخر هو أيضا يتجاوب مع حتمية الذات، ولا ينفصل عن التكوينات المترجمة للمعرفة العامّة، التي حصلت وتحصل بين مضمون الكتابة نتيجة المطابع في تتبع وتقييد إسهامات وإنجازات لإعطاء فكرة عامة عبر انتشار الوعي العربي بالمصالح القومية والتحديات العصرية.

تيسير النشر بتوطيد الطبع

تحتوي الجهود المبذولة من قبل أجلة الكتّاب الموهوبين زمام القلم كالكنوز المدفونة حيث لم تنشر في صورة جيّدة مرنة، كان أصحاب التأليفات فيما قبل العشرين في هذه البلاد يعانون الصعوبات وتواجههم المشاكل في طبع مؤلفاتهم وإخراج المخطوطات إلى حيز الوجود لقلّة المطابع وعدم توفرها قريبًا إليهم. وما يكلفهم من العناء والسفر إلى أماكن بعيدة قبل الحصول على مآربهم ورغباتهم، لكن تحسنت الحال منذ أواخر القرن الماضي بتوفر دور النشر في جميع ولايات نيجيريا، وفي أكثر بلدان المسلمين، فوجد المؤلفون وأصحاب القلم السبيل مفتوحًا أمامهم لنشر مؤلفاتهم وإيصال إنتاجاتهم إلى القراء، فعمتْ المنافع واتسعت رقعة اللغة العربية في البلاد، وربما تصدت بعض هذه المطابع إلى تخفيف مؤونة الطبع للمؤلفين الفقراء لا يملكون المبلغ الكافي لطبع إنتاجاتهم، وذلك بتأجيل بعض تكاليف الطبع إلى بعد إنجاز الطبع وبيع بعضها قبل تسديد ما تبقى من المال.

توجيه الموهوبين زمام القلم نحو الكتابة

صار دور النشر والطباعة عاملًا كبيرًا وحافزًا مشجّعًا للعلماء والدارسين على الكتابة والتأليف، حيث أدركوا أن ما يكتبون تصل إلى القراء وينتفعون بها، ويرجع إليهم الثناء والدعاء بالخير، فلوحظ في أوساط المثقفين بالعربية المسابقة والمبادرة

إلى التأليف في الفنون العلمية من فقه وحديث وتوحيد وتجويد وسيرة، والكتابة في الفنون الأدبية من قصّة ورواية ومسرحية وإصدار الدواوين الشعرية، وإعداد المقالات العلمية والكتب المدرسية، ونظم القصائد أيام الحفلات والمناسبات والأعياد، وتوزيعها على الحضور. ولولا توفر الطباعة لما تشجع أو فكّر كثير من الكتّاب والمؤلفين فيما جادت بها قريحتهم من الإنتاجات المثمرة الساعدة في موكب تطوير الحضارة الإنسانية.

حفظ الإنتاجات العلمية عبر العصور

إنَّ فن الطباعة بروائعها المعاصرة تفيد بكثرة لحفظ الإنتاجات العلمية في موكب الخلود جودةً، دون الركود رديئةً. نبغ في هذه البلاد علماء مشهورون أصحاب مؤلفات قيّمة، تشهد لهم إنتاجاتهم بتفوقهم وعلو كعبهم في اللغة العربية وفنونها، وبجانب هؤلاء العلماء علماء آخرون زهدوا في الدنيا وما فيها، كانوا يرون فيما كتبه السابقون من العلماء غنى وكفاية وإحاطة، ولشدة زهدهم وتواضعهم أبوا الخوض في الكتابة والتأليف، ومنهم من رفض الكتابة لاعتقاده تواضعًا بقلة بضاعته العلمية، وفيئة أخرى من العلماء ألقت من دون إسناد المكتوب إلى مؤلفه، فيظل المكتوب عنده أو عند بعض تلاميذه.[١] وبتوفر المطابع وكثرتها في البلاد النيجيرية أدرك العلماء والمؤلفين أهمية النشر، وتنبهوا إلى أهمية تنقيح الإنتاجات قبل تقديمها إلى الطباعة، وبذلك بدأ الكتّاب وأصحاب التأليفات باختلاف مستواهم العلمي والفكري والاعتقادي يولون مؤلفاتهم أهمية التنقيح والتنقيب بمراجعتها وتقديمها إلى أصحاب الخبرة العلمية ممن يثقون به في العلم للتقويم والتصويب،

١ -الإلوري آدم عبد الله، مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، ص:١٥

إضافة إلى ما تقوم بها بعض دور النشر من مسئولية التقويم والتصويب والتنقيح النهائي. وإنَّ هذه العلمية ساهمت في تطور اللغة العربية في البلاد ونضوج الإنتاجات التي يصدرها المنتمون إليها في جميع المستويات التعليمية عبر تنمية الحضارة الإنسانية.

بناء مستقبل باهر بتواصل ماضينا بحاضرنا

يسرت المطابع العربية الحفظ والاستفادة من التراث الإنساني، وأمكن من خلالها حفظ التراث من جيل لآخر. وإن الطباعة هي من الأمور الحيوية والجوهرية في حياة فنوننا الثقافية، وكذلك في النواحي التجارية والاقتصادية والحياة الإنسانية. وهي لهذا تخدم التقدّم العالمي. وإذا فكرنا في معطيات الطباعة لنا في كل لحظة وإذا نظرنا لكل المتطلبات المطبوعة نجد أن هذا الفن يعطينا الكثير سواء في مجال الصحافة، أو المجلات، أو المطبوعات، أو النقود، أو الكتب، أو الطوابع أو الملصقات وغير ذلك مما تفيد لتنمية المجال الاقتصادي وتساعد لنهوض الجانب العلمي.

إعداد الطلبة لنشر الوعي العربي وثقافته

إنَّ توزيع دور النشر في البلاد وكثرة المؤسسات الطباعية ساعد في تعميم الوعي العربي بين أوساط المثقفين بالعربية وغيرهم من المسلمين، ذلك لما كانت تصدرها هذه الدور من المجلات واللوافت والدعوات والكتيّبات، وكان يقصدها جل السكان أيام الحفلات والوقائع التاريخية لطبع الدعوات واللوافت والإعلانات، فصار ذلك من أسباب ازدياد الدخل والثروة للمؤسسات الطباعية، وبالتالي ساهم في تطور اللغة العربية واستعمالها في شتى المجالات الحيوية وقدرتها على مسايرة الأوضاع اليومية والمتطلبات العصرية. وقد تعلم السكان عن طريق تلك المنشورات كثيرًا من الاصطلاحات بالعربية، فعم الوعي العربي حتى بين غير المثقفين بها.

توعية الموظفين في القلعة العربية

من الحقائق والثوابت التاريخية كثرة رواد اللغة العربية في هذه الدِّيار منذ منتصف القرن الماضي إلى الوقت الحاضر، وكثرت بذلك المؤسسات التعليمية من المدارس الثانوية الأهلية والحكومية إلى المعاهد العليا والجامعات التي تدرس فيها اللغة العربية، فتضاعفت الحاجات والدواعي إلى إيجاد وتأسيس دور النشر والطباعة تلبي حاجات المؤلفين والدارسين على مختلف المستويات التعليمية. وقد أدرك بعض المثقفين بالعربية هذه الحقيقة والحاجة فتبادروا إلى الاستثمار في إنشاء المطابع العربية لنشر الثقافة العربية. وقد تكلفت هذه المطابع بالدخل والثروة لأصحابها ما يغنيهم للمعيشة اليومية، كما وفّرت لعدد كبير من السكان من مثقفي اللغة العربية وغيرهم الوظيفة على وجه الاستمرار. ولما كان القيام بمهمات الطبع والنشر يحتاج إلى القدرات العلمية والخلفيات المعرفية والمهنية وخاصة التعمق والإتقان للغة اضطرت الكثرة من دور النشر إلى تعليم وتدريب موظفيها على إتقان العربية والتمكن في المهارات اللغوية بما فيها المهارة الإملائية والكتابية، وذلك بتأسيس الفصول الدراسية والدورات التدريبية المبرمجة على المستويات التعليمية حسب خلفيات الموظفين. وذلك نوع من الاستثمار في اللغة العربية عن طريق تشغيل المدرسين الأكفاء والمدربين الممرنين، وقد رجعت تلك الجهود والنفقات بالصالح والخير إلى المطابع ودو النشر للحفاظ على روادها وزبائنها لحسن الثقة من إصداراتها ومنشوراتها[1]. فينهض شعب المجتمع نهضة بارعة لتنمية الموارد المالية رجالها ونساءها، فتيانها وفتاها، فكانت هذه وتلك من أقصى الغايات

١ -الدكتور يعقوب عبد الله، إسهامات دور النشر في تطور اللغة العربية في نيجيريا، مقالة ألقاها في المؤتمر الدولي الثالث، حول الاستثمار في اللغة العربية، ص:٦٥٢

لتأسيس المطابع العربية، من نشر العلم والحضارة الإسلامية، ولمساعدة الإخوة الضعفاء في المجتمع[١].

دفع عجلة الشئون التعليمية والاقتصادية إلى الأمام

فتق رتق الخصائص التعليمية والاقتصادية لدى الشباب والفتيات في الديار النيجيرية، في الجانب الإبداعي والبياني، فقد عنوا عناية بالغة بتنمية الموهبة والملكة على تذوق الفنون الأدبية المتاحة لزمانها، حتى تخلق في ذاكرة الشاب المتأدب قدرة الإبداع والحكم في كل ضرب من ضروب الحياة من الطباعة، والكتابة، والتجليد، والتلوين، والتزيين، والتنضيد بأسلوب رائع ممتع. ومما نسخه الكُتّاب بمدينة إلورن عاصمة ولاية كوارا نيجيريا "تفسير الجلالين" للإمام السيوطي والإمام المحلي، وكتاب "درة الناصحين" و "رياض الصالحين" و "مقدمة العزية" و "متن الأخضري" ومتن العشماوي" و "شرح مقامات الحريري" و "مقصورة ابن دريد" و "العشرينيات" وكتاب "قال الشيخ" و "القصائد الوعظية" وغيرها من الكتب التي كانت تنسخ وتستعرض في الأسواق للاقتناء[٢].

وبمرور الزمان وتبادل القمريْن ظهرتْ المكتبات الجديدة والمطابع العربية الحديثة، فتكاثرتْ حتى صارت مركزًا تجاريًا، حيث يتعلّم الشُّبان والفتيات الطباعة العربية والإنجليزية في آن واحد، ويكتسبون لقمة عيشهم من صناعة طبع

---

١ -مقابلة مع السيّدة راضية، مؤسسة مركز الهدى للطباعة والنشر، يوم الاثنين ٢٦-٠٧-٢٠٢١م، في الساعة العاشرة والنصف صباحًا.

٢ -عبد الرشيد محمود مقدّم (٢٠١٤)، دور الكتاتيب العربية في استثمار اللغة العربية في مدينة إلورن، مقالة منشورة في المؤتمر الدولي حول الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها الوطني والعربي والدولي، بالإمارة العربية دُبي، الجزء الثالث، ص:٣١٣

الكُتب الدينية والبحوث اللغوية، أو الرسائل العلمية، والمجلات العربية، بالآلات التكنولوجية، بصورة جميلة جذّابة ومرنة، مع تزيين غلافها، وتنضيد سطورها. وبعد إجادة التدريب الطباعي، يقدمون الشهادات التقديرية للمتعلمين، ويحتفلون حفلة الاختتام والتخرج، يحضرها الأقارب والأحباء للتبرك بين يدي المؤسس مع شركائه المتخصصين في هذا الميدان التعليمي[١]. إن هذه الحركات التعلُّمية، وتلكم النشاطات الثقافية، تساعد الإخوة والأخوات، ذوي المواهب المختلفة من الإبداعات البالغة، والأفكار النيّرة، حيث لم يجدوا فُرص العمل ولا مجال التوظيف تحت الحكومة النيجيرية والولائية، أم الذين وجدوا الوظيفة الحكومية ولم تغن من جهودهم تجاه حاجاتهم اليومية.

ثانيًا: صورٌ من التحديات التي تواجهها المطابع العربية في نيجيريا

قد سبقت الإشارة إلى أن المطابع العربية هي أنجع أدوات نشر الثقافة في العصر الحديث وهي بلا شك قلب الحضارة المعاصرة ومرآة تقدم الشعوب فلولاها لما انتشرت العلوم والمعرفة في مشارق الأرض ومغاربها. ولقد بقي الكتاب المخطوط –بدون ريب ولا جدال- عزيز المنال لا يحصل عليه طالب العلم الفقير إلا في النادر فظل الكثير من أهل العلم محروما من الكتب الضرورية حتى جاء عصر الطباعة فأحدث ثورة في عالم الثقافة بتوسيعه لمجال المعرفة بعد أن كان حكرا على جماعة معيّنة.

لكن مع هذا التطور الهائل بوساطة المطابع العربية في نيجيريا في نشر العلوم الإنسانية في ربوع العالم النيجيري، هذا لا ينفي من وجود زمرة من المشاكل

---

١ -عمر محمد الأول، مقالة قدّمها بعنون (الوفادة العربية والتنمية الاقتصادية في إمارة إلورن) في المؤتمر الدولي أقيمت في مركز الدراسات الإلورية، جامعة إلورن، نيجيريا.

والتحديات تعود دون هذه المطابع من تحقيق الغاية المنشودة التي تريد وتأمل إنجازها في دنيا الناس المثقفين. وينبغي في البداية الإشارة إلى أن بعض هذه التحديات ترجع إلى أصحاب المطابع العربية والبعض الآخر ترجع إلى المؤلفين المثقفين أنفسهم. وفي سطور تالية بعض تحديات هذه المطابع:

غليان الجهاز التكنولوجي المعاصر وأدواتها الذي يسهل عملية الطباعة لهيئة الناشر في حدود أيام قليلة مما يؤدي إلى حمل الكتب المخطوطة إلى من يملك شراءه ويساعدهم في إخراجها ونشرها، وهذا الأمر يكلف أصحاب المطابع العربية في نيجيريا مؤونة ذلك الصنع ويعرقل العمل عليهم.

عدم توفر الخبراء في الثقافة العربية مما يؤدّي إلى وجود كثرة الأخطاء المطبعية في الكتاب. نجد في نيجيريا عددا كبيرا ممن يتخصص في طباعة الكتب العربية ولا يتقن اللغة العربية إتقانا جيدا إلا أنه يستطيع قراءة العربية وقد لا يفهم المعنى الدقيق وكيف يتم طباعة ذلك الكتاب جيدا بدون تخلله بالأخطاء المطبعية. فأحوط الحل لهذه المشكلة هو أن يوظف ذوو الثقافة العربية العميقة في هذه المؤسسة التي تخدم في بث ونقل الثقافة الإنسانية إلى الأجيال الصاعدة.

كثرة الجلوس والمثابرة في عملية الطباعة.

كثرة التنقيح والتصقيل لدى بعض المؤلفين مما يعرقل العمل على المهتمين بالطباعة العربية

عجز المؤلف لتقديم تكاليف الطباعة قد يؤدي إلى رداءة العمل

استعجال المؤلف لأخذ الكتاب المطبوع في مدة قصيرة

إنّ التطور السريع الذي أدّى إلى اكتشاف التكنولوجيا الحديثة قد وضع تحديا خطيرا -عن طريق اللاشعور- أمام الطباعة العربية لأنها تتعامل مع مشكلات طباعة اللغات الأجنبية والتي تستخدم حروفا لاتينية عند الطباعة. وقد تكون علة

هذه المشكلة تكمن في أنّ مخترعي هذه التكنولوجيا المعاصرة ليسوا بمؤمنين ولم يجعلوا التعامل بالحروف العربية في حسبانهم في الصناعة.[1]

وقد ترجع بعض تحديات المطابع العربية في نيجيريا إلى الصعوبات الفنية حيث يعاني المهتمون بالطباعة بالحروف العربية هذه التحديات عند نسخ كتاباتهم إلى هذه التكنولوجيا الحديثة، أصحابها لا يعرفون العربية وهذا قد يؤدي إلى بلبلة في توظيف تلك الفنيات في طباعة العربية.

يؤمن أصحاب التكنولوجيا الحديثة أن أدوات النسخ في داخل الحاسوب الآلي الذي يختزن الحروف العربية أسرع إلى حمل وتحويل الفيروس في بهبهة تكنولوجاتهم الحديثة الأمر الذي جعلهم يعتذرون ويفرون من فنية الطباعة العربية ولم يجد المهتمون بالطباعة العربية بدا ولا مناصا آخر إلا إليهم.

الخاتمة ونتائج البحث

بعض هذه الجولة العلمية والأدبية التي استغرقتها الصفحات السابقة، لم يسعنا المجال في هذه العجّالة إلا أن نعرض خلاصات هذا البحث وما ينطوي تحته من النتائج حتى يتسنى للقارئ أن يقتطف أهم زهرتها مما تتميّز بها الدراسة في رحاب المطابع العربية وأدوارها في موكب تطوير الحضارة الإنسانية في الدّيار النيجيرية:

١. نشر اللغة العربية ونصر علومها عبر توطيد مقاصدها التي تندرج ضمن السياق العام للمجتمع في نهوض الحضارة الإنسانية.

٢. وجوب تطوير المنظومة التربوية عبر المطابع الحديثة لتتبوأ اللغة العربية مكانتها المرموقة التي تستحقها جسدًا وروحًا، فاعلًا ومفعولًا.

---

[1]- نهى ميلور، محمد عايش، نبيل دجاني، خليل ريناوي الأعلام العربي العولمة: الأعلام وصناعته الناشئة، القاهرة: دار الفجر للنشر, ط١، ٢٠١٢م، ص:٥٩-٦٢

٣. استخدام الوسائل التكنولوجية والمعلوماتية للنهوض باللغة العربية في الدّيار النيجيريّة إلى المستوى العالميّة.

٤. التواصل المعرفي بين أفراد المجتمع لتحقيق الغاية العلمية والاقتصادية، وتوسيع المجال لتنمية الثقافة العربية والحضارة الإنسانية.

٥. قد استغلظتْ المطابع العربية وواكبتْ اللغة العربية العديد من العلوم والمعارف طيلة تاريخها، وخاصة بعد تطور الخضارة العربية الإسلامية بفضل العبقرية الفذّة لدى الموهوبين زمام القلم من المواطنين، الذين تمكنوا من نقل ما جادت به قريحة الحضارة الإنسانية في رحاب التأليف والتصنيف.

٦. إعداد لغة علمية قادرة بأسلوب جذّاب مرن أن تربط الماضي بالحاضر، وتدفع الأمة إلى الأمام والازدهار.

٧. تشكيل المصطلح العلميّ ضمن كبريات قضايا اللغة العربية المعاصرة، وذلك لأهمية المتنامية لحاجة الدّارسين إليه من جهة، وللتواصل الحضاري بين اللغة العربية وغيرها من اللغات الأخرى من جهة ثانية، إذ إنّ تقدّم الأمّة حضاريًّا، وتحديد ملامح ثقافتها، ووجودها على خريطة اللغات الحيّة، يكون بما لها من حظّ وافر من كثير المصطلحات وعديدها واستكانة مدلولاتها، وبما لوحدة مصطلحاتها من أثر واضح ومباشر في وحدة الأمّة الفكريّة والسّياسيّة والاجتماعيّة.

٨. انتقاء المقياس الأصلح، وإبداء الأسلوب الأرجح لنظام اللغة العربية والأقرب لطبيعتها والأنسب لحفظ مرونتها في ظلال جودة طبع غاياتها.

٩. الإلمام بالحاجة العلميّة والفنيّة تجاه التجديد في مراكز التعليم العالي والبحث العلمي عن اصطناع اللغة العربية للتعاليم والمأمول والمعقول من الخبراء الأجلاء، في تخصّص التدريب الطباعي عبر التفكير الجدّي في تدارك ما فات.

١٠. تشجيع إبداعيات الشباب والفتيات بتوجيههم نحو التفكير المستقبلي في منافع استعمال هذه اللغة العربية للإفادة والاستفادة، ولتغذية الأذهان بما يقدّم خلالها من الحضارة الإنسانية في صورها المختلفة.

١١. تنمية المهارات الأدبية واستخدامها استخدامًا سليمًا في جميع الأنشطة الاجتماعية، وذلك بمقتضى الخطوات التي يتبعها العقل في التفكير: باستدعاء جملة من المهام التي يؤديها لرفع مستوى الحضارة الإنسانية.

١٢. ضرورة توفير بيئة تعليمية مشوقة يسودها الأمن والاستقرار وتعمل على تحقيق الإبداع وتنميته بين الجماعة والأفراد.

١٣. التّدرج في التطوّر التربوي والعلمي الذي تتميز به المجتمعات المتقدّمة والتي لم تأت صدفة، وإنما أتتْ عن طريق البحث في أقصد الطرائق التعليمية، وأجيد الأساليب التربوية، والوسائل المعينة للوصل إلى ملكات التفكير عند الإنسان في سموّ الحضارة، وعلوّ الثقافة.

١٤. إبراز الجوانب المتضحة في أسمى الإسهامات، وأعلى الإنجازات، مما اكتسبها التلاميذ على الشكل المطلوب، وتشجيعهم على التفاعل مع الموقف التعليمي بصورة يحقق أهدافها.

١٥. إثراء البحث العلمي بدراسات الموضوعات التي تسهم في دعم كافة الجهود المتراكمة لتعطي صورة واضحة عن حجم القضايا والمشكلات التي تواجهها اللغة العربية في الميادين المختلفة.

١٦. توظيف أهل الثقافة العربية في المطابع العربية مما يجمل ويحسن عملية الطباعة ويخلص الكتاب من أخطاء المطبعية إلا ما شذوذ.

المراجع والمصادر

- آدم عبد الله الألوري، مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، الطبعة الأولى ١٩٨٧م بدار المعارف، مصر.

- البروفيسور حسن عبد الغني أبو غدة، دور الوقف في تعزيز التقدم المعرفي، المؤتمر الثالث للأوقاف بالمملكة العربية السعودية الجامعة الإسلامية ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- جامعة إلورن، التنمية الاجتماعية الاقتصادية في إمارة إلورن منذ القرن العشرين، كتاب مشترك منشور بمركز التراث الإلوري، تحرير وتحقيق: أستاذ كتور زكريا إدريس-أَوْبُو-حسين، وأستاذ دكتور أحمد شيخ عبد السلام.
- جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، المدارس القرآنية ودورها في تنمية المهارات اللغوية عند الطفل السنة الثالثة الابتدائي، ٢٠٢٠
- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المطبعة البولسية، بدون تاريخ الطبع.
- الدكتور ليلى بيومي، دور الكتاتيب في حفظ الهوية الثقافية لأبنائنا، ١٤٢٧/٣/٢٦
- https://almoslim.net
- الدكتور يعقوب عبد الله، إسهامات دور النشر في تطور اللغة العربية في نيجيريا. مقالة علمية منشورة في كتاب المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية "الاستثمار في اللغة العربية" ٢٠١٤م، دبي الإمارات.
- شيخو أحمد سعيد غلادنث، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، المكتبة الإفريقية، مصر ١٩٩٢م.
- الشيباني أبو اليسر إبراهيم بن محمد، الرسالة العذراء في موازين البلاغة وأدوات الكتابة، بمطبعة دار المعالم الطلامح للنشر والتوزيع والتصدير.

- الشيباني أبو اليسر إبراهيم بن محمد، الرسالة العذراء في موازين البلاغة وأدوات الكتابة، ص:٧٥
- فضاء الإنسانية، http://fadaeinsania.blogspot.com 10/7/2017
- طه أحمد المكاشفي، نظام التعليم في الخلوة وتطوره إلى المدارس القرآنية كتجربة لتأصيل التعليم في السودان، جامعة إفريقيا العالمية السودان، المركز الإسلامي الإفريقي، المؤتمر العالمي وأثره في بناء الحضارة الإنسانية ٢٠١١م.
- عبد الحكيم عيسى جبريل، دراسات في شعر المدح لدى شعراء لاغوس نيجيريا. الطبعة الأولى ١٤٤٢هـ-٢٠٢١م، بمطبعة ICMAHللنشر والتوزيع، ولاية لاغوس، نيجيريا.
- محمد صلاح الدين بنيوسف، المعرفة الإنسانية،١٠/٧/٢٠٠٧م، /http://fadaeinsania.blogspot.com
- نهى ميلور، ومحمد عايش، ونبيل دجاني، وخليل ريناوي، الأعلام العربي العولمة: الأعلام وصناعته الناشئة، القاهرة: دار الفجر للنشر، ط١، ٢٠١٢م